١٦

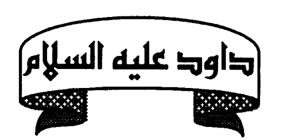
سلسلة قصص الأنبياء

داود عليه السلام

تأليف
الشيخ /بكر محمد إبراهيم

مكتبة زهران
١٥ شارع الشيخ محمد عبده
خلف الجامع الأزهر ت ٥١٠٩٨٨٧

رقم الإيداع	١٨١٩٠ / ٩٩
ترقيم دولي	977-5096-61-8



* بداية داود عليه السلام :

ولد داود بن عيسى بقرية ببيت لحم قبل ميلاد المسيح عليه السلام بنحو ألف سنة وتسعين عامًا ، وكان في شبابه يرعى الغنم .

وقد كان بطلاً مقدامًا يضرب به المثل في شجاعته وإقدامه (جرأته) ، وكانت له معرفة عظيمة برمي المقلاع ، وقد أتاه الله الملك بعد موت طالوت فانتقل إلى أورشليم ، واستقر بها ملكًا على بني إسرائيل جميعًا ، وعلمه الله كثيرًا من علوم الدين والدنيا ، فسار قومه بعلمه وحكمته، وجمعهم تحت راية واحدة، وجعله الله نبيًا رسولاً بعد أن بلغ الأربعين ، وأنزل عليه الزبور ، وهو كتاب ملىء بالعظات والعبر ، ورزقه الله صوتًا حسنًا ، فكان إذا قرأ الزبور استمعت إليه الإنس والجن والطير ، وكان إذا سبح رجعت ورددت الجبال تسبيحه والطير كذلك ، وأخضع الله

له الجبابرة ، ودان (أخضع) له أهل البلاد فأتمرو بأمره ، وعظموه في أنفسهم ، وبالغوا في إجلاله ومهابته ، وانتشر العدل والسلام في عصره ، وعم الخير والرخاء وعاش قومه في رغد من العيش وسعة .

* ذكر داود عليه السلام في القرآن :

ذكرت قصته عليه السلام مجملة ومفصلة في مواضع من القرآن الكريم ، وذلك في سورة البقرة ضمن قصة طالوت ، وفي سورة سبأ ، وسورة ص ، وسورة الأنبياء ، وغيرها من السور .

قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [سبأ : ١٠ - ١١] .

فأخبر الله تعالى في هاتين الآيتين عن فضله الذي أسبغه على داود عليه السلام وأرانا شيئًا من المعجزات التي أظهرها على يديه لإثبات نبوته .

وهذا الفضل الذي أسبغه الله تعالى عليه أن أغناه عن خلقه فلم يحتج إليهم في معاشه ، فقد علمه صناعة الدروع، كما قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء : ٨٠] .

وهي صناعة القمصان المعدنية التي تقي المحاربين ضربات السيوف وطعنات الرماح ورشقات السهام ، فكان عليه السلام يصنع هذه الدروع ويجمع من وراء صناعتها أموالاً كثيرًا حتى صار أكثر قومه مالاً .

* معجزات داود عليه السلام :

وقوله تعالى: ﴿ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ﴾ بمعنى أن يحكم تقدير أماكن المسامير ، فيخرق للمسمار بقدر سمكه ، فيدخله في مكانه من غير عناء في إدخاله ، وهي معجزة خارقة للعادة أجراها الله على يديه ، ولم تكن لأحد قبله ولا أحد بعده .

بالإضافة إلانة الحديد له يشكله كما يشاء فكان الحديد بين يديه كالعجين أو الصلصال من غير إحراق بالنار .

وكذلك تسبيح الجبال معه والطير ، فإنه كان إذا سبح سمع الناس الجبال ترجع معه التسبيح ، وكأنها تسمع وتتكلم ،ولم يكن هذا الترجيع عبارة عن صدى الصوت كما يقول منكرو المعجزات وإلا لم تكن معجزة ، والله سبحانه وتعالى قادر على أن يجري خوارق العادات في الجمادات وغيرها .

فهؤلاء لا يحكمون العقل حتى في أفعال الله تعالى مع قصور العقل حتى عن إدراك نفسه ، ولا يعرف العقل ما هو أهو جوهر أم عرض أم مادة أو معنى ، وأين مستقره ومستودعه .

وبهذه المعجزات ثبتت نبوته ، وبالنبوة قوى ملكه ، وعظم في بني إسرائيل شأنه ، فأحبوه ، وهابوه ، وأطاعوه كما قال تعالى : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [ص: ٢٠] . أي قوينا ملكه بكثرة الجنود ، وقوة السلاح ، وإلقاء المهابة في قلوب أعدائه ، وبمنحه القدرة العجيبة على سياسة الناس ، وتدبير شئون الملك على أحسن الوجوه ، وقد آتاه الله الحكمة فوضع كل شيء في موضعه ، وأقام الحجة على من كفر به أو سولت له نفسه بمخالفته ، وآتاه فصاحة اللسان ، فكان يحسم كل قضية بالبراهين المقنعة والمواعظ المؤثرة فساد العدل وانتشر السلام وعم الرخاء ، وقد استمر

ملكه أربعين سنة ثم جاء بعده ابنه سليمان عليه السلام فحكم أيضًا أربعين سنة .

* فتنة داود :

يذكر القرآن الكريم أن داود عليه السلام قد تعرض لفتنة ، فاستغفر الله منها ، وعزم عزمًا مؤكدًا ألا يقع في مثلها بتوفيق الله تعالى ومشيئته ، وخر لربه ساجدًا توبة وإنابة ، فتاب الله عليه ، وغفر له ، وشهد له بسمو المنزلة وحسن المكانة والشأن والمقام عنده فقال عز وجل : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾ يَا دَاوُودُ إِنَّا

جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص : ٢١ - ٢٦] .

وقد افترى أهل الكتاب على داود عليه السلام أنه أحب امرأة رآها تغتسل فأرسل زوجها ليقتل في الحرب ليتزوجها وهذه الأقوال لا تليق بالصالحين من عباد الله فضلاً عن الأنبياء المعصومين فلا يصدق هذه الأكاذيب التي ألصقها اليهود بنبي الله داود وغيره من الأنبياء .

والحق عند المحققين أن رجلين من الرعاة اختصما في نعجة كانت لأحدهما لا يملك سواها ، والآخر كان يملك تسعًا وتسعين نعجة ، فطلب منه نعجته الوحيدة ليضمها إلى نعاجه ، فيرعاها له بأجرة أو يشتريها منه ، وألح عليه حتى أحرجه وضيق عليه الخناق ، فلم يجد خلاصًا من هذا الضغط والإلحاح إلا أن يشكوه إلى هذا الملك المتواضع الذي يفتح بابه لكل أصحاب الحاجات ، وهو نبي مرسل يقول الحق ويقضي به ، ويهدي إلى سواء السبيل، ولعله يجد عنده حكمًا عدلاً في هذه القضية .

جاء هذان الرجلان ومع كل منهما رجال من عشيرته إلى

مقر الحكم ، فلم يجدوا داود عليه السلام ، فسولت لهم أنفسهم أن يقتحموا عليه محرابه ، وكانت لديهم جرأة وجفاء وغلظة ، فلما دخلوا عليه فزع منهم لأنهم دخلا عليه من حيث لا يشعر ومن غير استئذان ، ومن غير الباب الذي يدخل منه من أراد الدخول ، وفي وقت لا يتوقع فيه دخول أحد وهو مستغرق في العبادة ، وأحوالهم غير مطمئنة فلما رأوا من فزعه ما رأوا قالوا : لا تخف ، نحن خصمان بغى بعضنا على بعض فجئناك لتحكم بيننا بالحق حكمًا لا شطط فيه (لا ظلم فيه) ولكي تهدينا إلى الصراط السوي في آداب المعاملة والمخالطة مما نحتاج إلى معرفته .

وأخذ المدعي في عرض القضية فقال : إن هذا أخي . فوصفه بالأخوة رغم المخاصمة والغضب وهذا يدل على شدة الأدب رغم ما فيهم من عداوة ، قال له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني[1] في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرًا من الخلطاء[2] ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم الآيات .

(١) وعزنى أى : غلبنى .

(٢) الخلطاء أى : الشركاء .

أي لا أملك سواها فاستكثرها عليَّ ، ونظر إليَّ باحتقار فطلبها مني وأنا أرجو أن أضم إليها أخرى وهو لا يريد أن يعطيني فرصة لتنمية مالي، إنما يريد أن ينحيني عن المرعى ليخلو له وحده ، وألح في الطلب . فقال داود : لقد ظلمك .. قبل أن يسمع من المدعي عليه فقيل أن هذا خطأه الذي استغفر منه وأناب .

ولكن الصواب غير ذلك فإن هذا يتنافى (يتعارض) مع ما وصف الله به داود من الحكمة وفصل الخطاب ، فكيف يليق بنبي مرسل أتاه الله الحكمة ، ومنحه قدرة على القضاء بين الناس وفض المنازعات بالحجة والبرهان أن يصدر حكمه في قضية دون أن يسمع كلام المدعى عليه .

وقد حكم داود بين الخصمين ، وشفع (ثنى) حكمه ببيان حال الناس في المخالطة إذا فقدوا الإيمان ، فإن قلب المؤمن حي يقظ رقيق لا يبغي على أخيه المؤمن في شيء من عرض الدنيا .

فلما خرج الخصمان من عنده فكر في شأنهم وشغله أمرهم، ورأى أنه كان مخطئًا في عزل نفسه في المحراب مدة مثل التي يقضيها في ديوان القضاء ، والناس في حاجة إليه ، والعبادة ليس

فقط في المحاريب ، ولكنها أيضًا في العمل وتدبير شئون الملك ، وتعليم الناس وغير ذلك مما ينفع الناس .

وقدر في نفسه أن هذين الخصمين لو أدركهما الحرس لقتلوهما ، فيكون هو السبب في قتلهما ، وأنه لولا اعتزاله ما اضطرا إلى تسور المحراب عليه ، وكان من الأولى أن يجعل للناس وقتًا كافيًا لقضاء حوائجهم وحل مشاكلهم والفصل في منازعاتهم وخصوماتهم ، لأنه قد ولي أمرهم ، وكل راع مسئول عن رعيته ، فبادر إلى الاستغفار والتوبة من ذلك الاجتهاد .

فداود عليه السلام قد اجتهد في تقسيم أوقاته فجعل للناس وقتًا ولأزواجه وقتًا وللعبادة وقتًا ، وجعل الأوقات متساوية ، وفاته أن الخلافة في الأرض تحتاج إلى وقت أكبر ، فسخر الله له هؤلاء الأعراب ، فتسوروا (تسلقوا) عليه المحراب ، ففطن إلى المقصود ولزم الأولى .

وخطأ الأنبياء في الاجتهاد لا يحرم حلالاً ، ولا يحل حرامًا، ولكن لا يبدو أن يكون خلاف الأولى .

ولهذا خاطبه الله تعالى بقوله : ﴿ **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ**

عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ .

أي أنت يا داود لست كـأحـاد الناس لا يشـغله إلا نفـسـه وأهله، ولكنك مسئـول عن كل مقيم في مملكتك وكل من يدخل إليها .

وهذه المسـئولية تتطـلب منك أن تفرغ أكـثر الوقت لتـحمل تبعاتها .

ومن المعلوم أن هوى الأنبـيـاء ليس فيـه عـدول عن الطريق السـوي ، ولا انحـراف عن السـمـو الخلقـي ، ولكنه هوى في مرضاة الله تعالى كـما قال رسول الله ﷺ : « **لا يؤمن أحـدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به** » .

(رواه الحسن بن سفيان وغيـره ورجاله ثقات كما قال ابن حجر في الفتح وصححه النووي) .

فهوى داود عليه السـلام كـان معظمـه فـي ملازمـة المحـراب (بيت العبادة) فرده الله تعالى إلى الاعتدال الذي يكفل مصلحته ومصلحة الناس .

فعلى المؤمن أن يوفق بين مطالب الدين والدنيا .

* حكمه عليه السلام في الحرث :

ويذكر القرآن الكريم قضية أخرى حكم فيها داود عليه السلام بالعدل وفق اجتهاده ولكن ولده سليمان قد رأى في القضية رأيًا آخر هو أحسن منه ، وحكم بحكم هو أرفق من حكمه ، فأثنى الله تعالى عليهما واستحسن حكم سليمان وارتضاه ، وهو الذي مَنَّ به عليه وفهمه إياه .

يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء : ٧٨ - ٧٩] .

في هذه القصة أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث ، والآخر صاحب غنم ، فشكا صاحب الحرث صاحب الغنم وقال في شكواه : إن غنم هذا قد انطلقت ليلاً ترعى في حرثي فأفسدته ، فاحكم بيننا في هذه القضية فحكم داود عليه السلام لصاحب الحرث بالغنم تعويضًا له عما أصاب حرثه وعقوبة لصاحب الغنم الذي أهمل في حبسها وتركها

ترعى في زرع النـاس ، وهذا هو العـدل في أسـمى صـوره ، وخرج صاحب الزرع مسرورًا بالغنم التي أخـذها ، وفيها ما يغنيه عن ذلك السؤال ، وما يشغل فراغه ، ويشـبع رغبته في رعيها ، وقد شفى غيظه من صاحبه .

وخرج صاحب الغنم مغمـومًا مهمومًا كاسف البال لا يدري ماذا يفـعل وقد فقـد ماله الذي لا يملك سواه ، وأضـحى عاطلاً عن العمل وربما لا يجيد إلا الرعي ، فلقيهما سليمان عليه السلام وقد كـان يعرف أحدهمـا قبل دخولهـما على أبيـه فسألهـما عن الحكم الذي حكم به فـأخبراه ، فـقال لهمـا : ادخلا عليـه مرة أخرى ، فدخـلا عليه ودخل معهـما سليمان فلمـا مثل بين يديه قال: يا أبت حكمك حسن ولكن عندي ما هو أحسن منه إن شاء الله تعالى ، فحكمك أقـرب إلى العدل ، وحكمي الذي أعرضه عليك هو في نظرى أقرب إلى الفـضل ، وأرفق بصاحب الغنم ، فـقال داود عليـه السلام : اعـرضه عليَّ ، فـقال سليـمان عليـه السلام: أرى أن يأخـذ صاحب الحرث الغـنم فيرعـاها لصاحبـها وينتـفع بولائدها وألبـانها وأصـوافهـا ، ويأخـذ صـاحب الغنم الأرض فيذرها لصاحـبها ويتولى شئونهـا ، فإذا صـار الزرع كما كان سلمـه لصاحـبه وأخذ غنمـه ، فـارتـضى داود هـذا الحكـم وأقره .

ونخلص من هذه القصة أن الفصل في الخصومات بين الناس أمر خطير ، يحتاج إلى علم واسع وبصيرة نافذة ، ونفس متجردة عن الهوى ، وإلا كان الخطأ والزلل الذي من شأنه إن شاع أن يفسد حياة الناس ويغري بعضهم ببعض ، ومن جهة أخرى فإنه مهما بلغ الإنسان من علم ومهما أوتى من نفاذ البصيرة ، ومن القدرة على التجرد من الهوى ، ومهما تحرى العدل واجتهد في تحقيقه فإنه قد يقع له أحيانًا من المشكلات ما يخفى عليه فيها وجه الحق ويغيب عنه وجه الصواب .

ومن هنا يجب الحذر الكامل فيمن يتصدى للحكم بين الناس والفصل في خصوماتهم وألا يعجل بالرأي الذي يظهر لأول نظرة ، بل يقلب وجوه النظر كلها ويعرض بعضها على بعض فيأخذ بأقربها إلى الحق والعدل ، يقول النبي ﷺ : « **إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليّ ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض ، فمن قضيت له بحق أخيه فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو يدعها** » . .

(رواه البخاري في الشهادات والحيل والأحكام ، ورواه مسلم في الأقضية وغيرهما) .



* ذكر داود عليه السلام في الحديث النبوي

ثبت في الحديث أن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وأن نبي الله داود كان يأكل من كسب يده .

وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا ولا يفر إذا لاقى** » .

(رواه البخاري ومسلم ، والنسائي ، وابن ماجه ، والدارمي ، وأحمد في مسنده ، ورواه ابن عساكر في تاريخه) .

وروى الإمام أحمد بسنده إلى عائشة رضي الله عنها قالت : سمع رسول الله ﷺ صوت أبي موسى الأشعري وهو يقرأ فقال: « لقد أوتى أبو موسى من مزامير آل داود » .

رواه أحمد في مسنده (٦/٢٧ ، ١٦٧) حلبي .

وهذا على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، أي رجال الحديث من الرجال الذين روى لهم الشيخان البخاري ومسلم .

وروى أحمد أيضًا بسنده إلى أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **لقد أعطى أبو موسى من مزامير داود**» .

رواه في مسنده ابن ماجه والبخاري ومسلم ، والنسائى والدارمي .

وروى الإمام أحمد في مسنده إلى أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **خفف على داود القراءة فكان يأمر بدابته فتسرج فكان يقرأ القرآن من قبل أن تسرج دابته ، وكان لا يأكل إلا من عمل يديه** » .

(رواه البخاري في صحيحه (٦٠/ ٣٧ / ٣٤١٧ فتح) .

روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس أن رجلين تداعيا إلى داود عليه السلام في بقر ادعى أحدهما على الآخر أنه اغتصبها منه ، فأنكر المدعى عليه فأرجأ (أخر) أمرهما إلى الليل، فلما كان الليل أوحى الله إليه أن يقتل المدعي ، فلما أصبح قال له داود : إن الله أوحى إليَّ أن أقتلك فأنا قاتلك لا محالة ، فما خبرك فيما ادعيته على هذا ؟ قال : والله يا نبي الله إني لمحق فيما ادعيت عليه ، ولكني كنت اغتلت أباه قبل هذا ، فأمر داود به فقتل ، فعظم أمر داود في بني إسرائيل جدًا وخضعوا له خضوعًا عظيمًا .

وروى البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث أيوب وقال الترمذي حسن صحيح ، عن ابن عباس : أن النبي ﷺ سجد في (ص) وقال : سجدها داود توبة ونسجدها شكرًا .

وروى الترمذي وابن ماجه عن ابن عباس قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إني رأيت فيما يرى النائم كأني أصلي خلف شجرة ، فقرأت السجدة فسجدت وسجدت الشجرة بسجودي ، فسمعتها تقول وهي ساجدة : « اللهم اكتب لي أجرًا واجعلها عندك ذخرًا وضع عني بها وزرًا ، واقبلها مني كما قبلت من عبدك داود » .

قال ابن عباس : فرأيت النبي ﷺ قام فقرأ السجدة ثم سجد فسمعته يقول وهو ساجد كما حكى الرجل من كلام الشجرة .

وروى أبو حاتم بسنده إلى مالك بن دينار في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ قال يقوم داود عليه السلام يوم القيامة عند ساق العرش فيقول الله : يا داود مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني به في الدنيا ، فيقول قد سلبته فيقول : وإني أرده عليك اليوم ، قال : فيرفع

داود بصوت يستفرغ نعيم أهل الجنان .

أخرج ابن أبي الدنيا بسنده إلى أبي الجلد ، قال : قرأت في مسألة داود عليه السلام أنه قال : يا رب كيف أشكرك وأنا لا أصل إلى شكرك إلا بنعمتك ؟ قال : فأتاه الوحي : « أن يا داود ألست تعلم أن الذي بك من النعم مني ؟ قال : بلى يا رب ، قال : فإني أرضى بذلك منك» .

وروى البيهقي بسنده إلى ابن شهاب الزهري قال : قال داود: الحمد الله كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله ، فأوحى الله إليه إنك قد أتعبت الحفظة يا داود .

ورواه أبو بكر بن أبي الدنيا عن علي بن الجعد ، عن الثوري مثله ، وهذا ثناء على داود عليه السلام .

وروى عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد بسنده إلى وهب ابن منبه قال : إن في حكمة آل داود : حق على العاقل ألا يغفل عن أربع ساعات ، ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يفضي فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه ، وساعة يخلى بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل فإن هذه الساعة عون على هذه الساعات وإجمام القلوب ، وحق على العاقل أن يعرف زمانه ، ويحفظ لسانه ،

ويقبل على شأنه ، وحق على العاقل ألا يظعن إلا في إحدى ثلاث :« زادة لمعاده ، ومرمة لمعاشه ، ولذة في غير محرم » رواه ابن المبارك في الزهد (١/ ١٠٥ / ٣١٣) .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « أفضل الصيام صيام داود ، وكان يقرأ الزبور بسبعين صوتًا يكون فيها ، وكانت له ركعة من الليل يبكي فيها نفسه ويبكي ببكائه كل شيء ويصرف بصوته المهموم والمحموم » .

* بداية ملك سليمان عليه السلام :

● روى إسحاق بن بشر بسنده إلى وهب بن منبه قال : إن الناس حضروا جنازة داود عليه السلام فجلسوا في الشمس في يوم صائف قال : وكان قد شيع جنازته أربعون ألف راهب عليهم البرانس سوى غيرهم من الناس ، ولم يمت في بني إسرائيل بعد موسى وهارون أحد كانت بني إسرائيل أشد جزعًا (حزنًا) عليه منهم على داود . قال : فآذاهم الحر فنادوا سليمان عليه السلام أن يعمل لهم وقاة لما أصابهم من الحر ، فخرج سليمان فنادى الطير فأجابت فأمرها أن تظل الناس ، فتراص بعضها إلى بعض

من كل وجه ، حتى استمسكت الريح فكاد الناس أن يهلكوا غما فصاحوا إلى سليمان عليه السلام من الغم ، فخرج سليمان فنادى الطير أن أظلى الناس من ناحية الشمس وتنحي من ناحية الريح ، ففعلت فكان الـناس في ظل تهب عليهم الريح ، فكان ذلك أول ما رأوه من ملك سليمان .

* * *



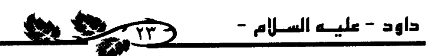


من العبر والآداب واللطائف في هذه القصة :

١ - أن للأنبياء أن يجتهدوا في إصدار الأحكام إذا لم ينزل فيها وحي، وإن اجتهادهم لا يحل حرامًا ولا يحرم حلالاً ، ولا يؤدي إلى ظلم ، ولا يقع متنافيًا مع مبادىء الدين ومثله العليا ، وأنهم مأجورون في الثواب والخطأ ، وأن خطأهم ليس من باب الخطيئة ، ولكنه من باب خلاف الأولى .

٢ - ومنها أن الحاكم إذا رأى حكمًا أحسن من حكمه قضى به ، وإذا رأى رأي واحد من الناس رأيا أحسن من رأيه أخذ به مهما كان شأن هذا الحاكم ، فالحق أحق أن يتبع ، والأمر شورى بين المسلمين .

٣ - أن داود عليه السلام اختاره الله تعالى ليفعل العجائب بيده ولم يكن من أهل تلك الأفعال لأنه كان غلامًا راعيًا للغنم فقتل الله تعالى بيده جالوت الجبار الذي تهابه الأبطال فقتله



بحجر حز رأسه بسيفه (أي سيف الجبار جالوت) فكان ذلك أدل على قهر الله تعالى للجبابرة بأحقر الأشياء على يد أضعف العباد .

٤ - أن الشخص الضعيف لا ينبغي له أن ييأس من النجاح وإحراز أسباب الفلاح ما دام معتصمًا بأسباب التقوى والشكر لنعم الله تعالى .

٥- أن انتصار داود على جالوت لم يغير من طباع داود ولم يذهب به مذهب أهل الكبرياء بل لم يزده هذا الأمر إلا تواضعًا .

٦ - أن طاعة الله وشكر نعمه مما يوجب المزيد فيها : فإن الله تعالى لما رأى طاعة داود وشكره زاد من نعمه فألان له الحديد وعلمه صنعة الدروع المرودة لتحصن الناس من الطعن في الحرب ، وأنعم عليه بولده سليمان الذي ورثه ملكه وعلمه وحكمته .

